النقد الثقافي في العالم العربي الغزامي
ريادة الطرح

إعداد

الباحث / حماده عبد الظاهر عبد العزيز

باحث دكتوراه في الآداب تخصص اللغة للربية / نقد أدبي

كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمه

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت " ما بعد الحداثة " في مجال الأدب والنقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية ، والسيميائيات ، والنظرية الجمالية التي تعتني بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية أو ظاهرة فنية جمالية وشعرية ، وقد استهدف تقويض البلاغة والنقد معا سعيا لبناء بديل منهجي يتمثل في النهج الثقافي الذي يستهدف الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسساتي ، فهما وتفسيرا ، وقد تأثر بمنهجية جاك دريدا التفكيكية ، وقد شمل التاريخانية الجديدة والمادية الثقافية والنقد الاستعماري والنقد النسوي الذي يدافع عن كينونة التأنيث في مقابل هيمنة سلطة الهيمنة الذكورية .

وقد شكل النقد الثقافي عملية صيرورة فكرية بالغة التشابك والتعقيد بين العديد من المناهج والمعارف والمقتربات والعلوم ، تبلورت نتائجها النهائية خلال العقود القليلة الماضية ، وتكمن مهمة النقد الثقافي-بحسب الدكتور صبري حافظ- في كونه" أخذ على عاتقه القيام بمثاقفة فكرية ونقدية مهمة وبالغة الاتساع ،تهتم بتحليل الأساس الاجتماعي والسياسي والتاريخي للأعمال الأدبية والفنية وهي أسس شكل كل منها طوال مسيرة النقد الأدبي الطويلة منهجا قائما بذاته[1].

النقد الثقافي في العالم العربي الغذامي ريادة الطرح : يعد الغذامي علامة من علامات الفكر والنقد في الوطن العربي ، حركت كتاباته أقلام مختلف النقاد في الوطن العربي ، فمنذ كتاب الخطيئة والتكفير خاض العديد من المعارك الأدبية والحضارية والثقافية ، وهو ناقد أدبي فذ واكب حركة النقد الأدبي العالمي منطلقا في تطبيقاته و مقارباته من مستجدات ما أفرزته هذه الحركات من مناهج ونظريات : " نظرية استجابة القارئ " أو نظرية الاستقبال " و" النقد النسوي" و التاريخانية الجديدة " والنقد الثقافي" تعامل الغذامي مع هذه النظريات والمناهج ببصيرة ناقدة في فلسفاتها وطاقاتها [2]، تارة يناقش ثقافة الوهم وتارة يقترح ثقافة الأسئلة وتارة أخري يعلن موت النقد الأدبي ويقترح النقد

الثقافي، فهو " وهبَ مقدرة خارقة علي التحول الدائم والتطور المستمر فجعل ذاته إشارة حرة فخلاها دالا عائما لا يحد بمدلول [٣]

تبلورت النواة الأولي للنقد الثقافي في كتاب " النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية الصادر عام ٢٠٠٠م" استهدف فيه الغذامي قراءة الأنساق الثقافية العربية المضمرة من تحت الجمالي ، وقد شكل المشروع علامة فارقة في تاريخ النقد العربي، حين أعلن صاحبه موت النقد الأدبي في ندوة في تونس عام ١٩٩٧ ، ورأي أن النقد الأدبي وليد فلسفي منذ أن جمع بينهما أرسطو احتضنته البلاغة العربية ، ثم تم فصله عن الفلسفة ، وأصبح فنا في البلاغة ، ثم أصبحت غايته هي البحث في جمالية الجميل دون محاولة التصدي لما وراء الجمالي ،أو مقارنة الجميل بالنسق الثقافي للجماعة ، وفي حالة التطرق لما وراء الجميل كان يقتصر علي عيوب الخطاب الفنية والعروضية والبلاغية [٤]

وطبقا للدكتور عبد النبي اصطيف الذي رأي أن النقد الأدبي لم يستنفد أغراض وجوده ، وان مختلف وجوه القصور المنسوبة إليه إنما تعود إلي محدودية تصورنا لطبيعة النقد الأدبي ووظيفته وحدوده[٥] ، وقد رأي أن دعاة النقد الثقافي في العالم العربي فتنوا بما حققه النقد الثقافي في الغرب ، بوصفه جزء من الدراسات الثقافية فرأوا فيه الحل السحري لجميع مشكلات النقد الأدبي ، غافلين عن أن النقد الثقافي علي أهمية ما حققه من انجازات لم يلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وغير الغربية التي ازدهر فيها[٦]

يختلف الباحث مع الدكتور اصطيف بعدم قول النقاد الغربيين بموت النقد الأدبي ، فقد حدثت معارك نقدية تجاه مؤسسة الدراسات الأدبية والنقد الأدبي من قبل كاسب الذي رأي أن الأدب يقوم بدورين متناقضين : فهو يولد القهر الثقافي ويمكن من التحرر العاطفي والفكري ،والثقافة الرفيعة لأوربا الغربية "الكتب العظمي " تعطي لها الأولية خدمة للمصالح المسيطرة للطبقة الحاكمة علي ثقافات الأعراف والنساء والطبقة العاملة[٧]. وربما يأتي يوم علي النقد الثقافي ويحكم عليه بالموت ما لم يخرج من إشكالية المنهج ،

فليست رحابة الآفاق الثقافية التي يتحرك خلالها النقد الثقافي ، وتنوع الأدوات التي يلزم توظيفها خلال الفعل النقدي ، وحماستهم للانجاز المرجو من ورائه بكافية للتضحية بمقتضيات المنهج [٨] .

ويمكن القول أن الغذامي كان مترددا في وجهة نظره حول قضية موت النقد الأدبي ، دليل ذلك بعد أربعة أعوام ذكر الغذامي في حواره مع الدكتور اصطيف قائلا :" إن النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي ،بل إنه سيعتمد اعتماده جوهريا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي"[٩].

ذاكرة المصطلح / النظرية والمنهج: منذ المنقلات النوعية التي تمت على يد ريتشارد ورولان بارت وتحول النظر من النص إلي الخطاب ،جري الوقوف علي فعل الخطاب وتحولاته النسقية ،جاءت مشروعات نقدية متنوعة تبحث في مجال ما وراء الأدبية .كما أن التزام النقد الأدبي في البحث في كل ما هو جمالي أدبي أدي إلي إغفال مالا ينطبق تحت تصنيف الجمالي حرمه من النظر في ملاحظة ألاعيب المؤسسة الثقافية وخلق حيل التدجين والترويض العقلي لدي مستهلكي الثقافة و الفنون الراقية والأدب الرفيع[١٠] و طبقا للغذامي كانت هناك انجازات نقدية تؤسس للنظر النقدي ببعده الثقافي ، مثلت الذاكرة الاصطلاحية للمشروع وهي:(الدراسات الثقافية / في نقد الثقافية /الرواية التكنولوجية / النقد الثقافي / النقد المؤسساتي / التعددية الثقافية الجماليات الثقافية / الناقد المدني) ، وقد رسمت الذاكرة الإصلاحية لدي الغذامي علامة واضحة، اعتمد عليها في النظرية قبل الدخول في المشروع النقدي الثقافي ويمكن إجمال النقاط فيها :

- الاهتمام بالمهمش والمهمل ونقد أنماط الهيمنة .
- ليس هناك فرق بين نص راقي / وآخر شعبي وعدم الانحياز لأي منهما .
- كسرت الدراسات الثقافية مركزية النص وانطلقت لبحث أنساق التمثيل وتكمن غايتها الأولي في البحث عن الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك تموضعها النصوصي .

- الوقوف علي ثقافة الجماهير ووسائلها وتفاعلاتها والبحث عن الأنماط والأنساق الجماهيرية
- البحث عن التحول المصاحب للحياة التكنولوجية و الإنساتي المعارض للتكنولوجي المشاغب .
- دراسة الجمالي وغير الجمالي، ودراسة الخطاب أو الظاهرة، ودراسة أنظمة الخطاب والإفصاح القانوني.
- البحث في قضايا الاختلاف مع الآخر ، و البحث في تمثل الذات مع ما يخالف تمثيلها ، وتمثيل الذات بما يتعارض مع ذاتها .
- البحث داخل الخطاب في قضايا التأنيث والنسوية والأدب الأمريكي وما بعد الكولونيالية

المشروع / الاستقبال العربي للنقد الثقافي : شكل سؤال الأدبية مركزا فاعلا في المشروع فمن خلال استبعاد المعني الأكاديمي الرسمي له، الذي يعني أن الأدبي : "هو الخطاب الذي قررته المؤسسة الثقافية حسب ما توارثه من مواصفات بلاغية وجمالية[١١] ، والذي من خلاله تم استبعاد نصوص تمنحها المؤسسة الثقافية صفة الرقي والتعالي علي الرعايا والمؤسسة النقدية نفسها، لا ينظر الناقد إلا إلي الجانب الجمالي ، وقد رأي الغذامي ضرورة تحويل الأداة النقدية من خدمة الجمالي كي تمس السؤال النقدي ذاته[١٢] و يتمثل الشرط الأول في تحرير الأداة النقدية من خدمة الجمالي في تحرير المصطلح من قيده المؤسساتي، ثم تحويله من كونه مصطلح نقد أدبي إلي مصطلح نقد ثقافي عبر عمليات إجرائية أربع[١٣] :

<u>أولا : نقلة المصطلح النقدي ذاته</u> : تشمل نقلة المصطلح ذاته ستة أساسيات اصطلاحية هي: (عناصر الرسالة " الوظيفة النسقية " / المجاز/ التورية الثقافية / نوع الدلالة / الجملة النوعية / المؤلف المزدوج)[١٤].

أ – عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية): اقترح الغذامي عنصرا سابعا،وهو "العنصر النسقي" يضاف إلي العناصر الستة التقليدية المعهودة في نظام الاتصال الياكبسوني ،

وعبره تصبح وظائف اللغة سبعة وظائف وتكون السابعة الجديدة هي: " الوظيفة النسقية " بها نوجه نظرنا نحو الأبعاد التي تتحكم بنا وبخطابتنا [١٥]

ب- الدلالة النسقية: تتولد عبر العنصر النسقي وهي ثالث الدلالتين الصريحة و الضمنية وهي ذات بعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية١٦ ، والدلالة النسقية ليست في الوعي ، بل في المضمر وتحتاج إلي أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكشفها .

ج- الجملة الثقافية :هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطي النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية،سوف تتمثل الدلالة عبر الجملة الثقافية.١٧

د- المجاز الكلي :عبره تتقنع اللغة لتمرر من خلالها الأنساق الثقافية المضمرة دون الوعي بها ،مثل خطاب الحب مثلا هو خطاب مجازي كبير ،يختبئ تحته نسق ثقافي يتحرك عبر جمل ثقافية غير ملحوظة[١٨]

هـ- التورية الثقافية : تشمل بعدين ظاهر والآخر لا في وعي القارئ ، وهو مضمر نسقي ثقافة لم يكتبه فرد، وإنما انوجد عبر عمليات التراكم والتواتر حتي صار عنصرا ثقافيا يتلبس الخطاب ورعية الخطاب من مؤلفين وقراء[١٩]

د- المؤلف المزدوج: هناك مؤلفان مزدوجان، المؤلف المعهود ومن أصنافه (الضمني/النموذجي/ الفعلي.) أي هو الفرد، والآخر هو الثقافة ذاتها[٢٠] وهي المؤلف المضمر ، يكون المؤلف المعهود هو أو المصبوغ بصبغتها .عند المقارنة به جماليا ، وبين الثقافة تظهر أشياء متعارضة بسب الأشياء التي مرت بدون وعي، أو ما هو متروك لاستنتاجات القارئ.

تلك هي المنهجية الإجرائية التي اعتمد عليها الغذامي في تطوير نقلته الاصطلاحية ، مشترطا أمرين الأول [٢١] أن تؤدي إلي نتائج بحثية تختلف عن النتائج المعهودة في المنهجيات الأخرى ، والثاني : تكون النتائج البحثية معتمدة في تحقيقها علي هذه الإجراءات المنهجية تحديدا.

ثانيا : النقلة في المفهوم (النسق الثقافي): تملك الثقافة أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هي الجمالية [٢٢] وقد عرف الغذامي النسق الثقافي عبر وظيفته ، و تحدث عندما يتعارض نسقان ، أحدهما ظاهر والآخر مضمر ، ويكون المضمر ناقضا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد ،أو في حكم النص الواحد . ويشترط أن يكون جماليا ، وأن يكون جماهيريا [٢٣].

ثالثا – وظيفة النقد الثقافي : عرف الغذامي النقد الثقافي من خلال وظيفته قائلا :" و النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام ،ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق الثقافية المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي،بكل تجلياته وأنماطه وصيغه ،ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي ، لذا معني بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي ،وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات ،فان المطلوب إيجاد نظريات في القبيحات من اجل كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد في الوعي والحس النقدي[٢٤].

رابعا – في التطبيق (أنواع الأنساق): بحسب الغذامي يبدو النسق الثقافي مجموعة من التصورات ، تعتبر أصل ذهني ونموذج يقاس عليه ، ويجري الاحتكام إلي ذلك الأصل والاحتكام إليه كدليل وموجه اجتماعي وسلوكي يقاس عليه[٢٥] .

تلك هي المنهجية التي اعتمد عليها الغذامي في طرحة مشروعه النقدي ، وليس كل حديث عن شأن ثقافي يعد نقد ثقافي ، إن النقد الثقافي لا يسمي إلا بمسماه النظري والمنهجي ، وعليه تصبح كتابات طه حسين والجاحظ وأبي حيان التوحيدي ، وعلي الوردي ليست نقدا ثقافيا علي حد قوله : " ولو كان كل من كتب عن شأن ثقافي صار ناقد ثقافيا لصارت قائمة الأولية طويلة جدا لا تقاس الأمتار ولا تحدها الأزمان ، من الجاحظ وأبي حيان الي طه حسين وعلي الوردي ،ولو كان الموضوع المبحوث هو ما يقرر هوية الباحث وخطابه لكان كل من كتب عن الصين صينيا ومن كتب عن الأوثان وثنيا[٢٦].

القراءات في النظرية والمنهج وإسهامات بعض النقاد العرب : إن الموجة النقدية التي تلت طرح المشروع عام ٢٠٠٠ م والي اليوم محركة معها أقلاما نقدية من مختلف الوطن العربي،جاءت كرد فعل علي جملة الأنساق التي احتواها الكتاب بين دفتيه ، فالناقد فرض أنساقه الناسخة علي كل ممارسة ،فهو أقد أهمل دور الشاعر علي سبيل المثال في مقاومة النسق الثقافي ، مثلما كشفت دراسة الدكتور يوسف عليمات[٢٧] عن دور الشاعر الجاهلي في ابتداع الأنساق المخاتلة للهروب من الأنساق الزمكانية السالبة، فالشاعر له دور في مقاومه النسق الثقافي وفي ابتداع انساق مخاتلة، تقاوم الأنساق والتقاليد الجمالية ،كما أهمل كتابات سابقة له استطاعت إن تصل الي من خلال النقد الأدبي لتصل الي المضمر الموجود في النص الأدبي ،مثل د٠شكري عياد ،د.سيد البحراوي، د.محمد بدوي ، د.جابر عصفور .

جاءت أولي القراءات النقدية للمشروع من قبل د. سعيد علوش الناقد المغربي، فقد اتهم النقد الثقافي العربي بالتنظير المفتعل قائلا " ومن ثم كان طرحنا للحداثة السلفية إمعاناً في إدانة نقد ثقافي عربي ركب موجة تنظير مفتعل، يبتغي التوثيق والانتقاء والافتراء، في محاولة تأصيل شجرة أنساب نقد ثقافي أريد له عمر بن عبد العزيز رائداً[٢٨] ، ولا يعدو أن يكون النقد الثقافي من وجهة نظره سوي بقايا نقد ثقافي ، وصرح باسم الدكتور الغذامي قائلا "و ها هي الجزيرة العربية- ويا للمصادفة السعيدة - تتبنى في السعودية بقايا النقد الثقافي مع غذامي يدعو لهذا التوجه كدين جديد يحله محل النقد الأدبي الذي أعلى من سدة حداثيين متعجرفين تمركزوا في المدن الماكرة، ساخرين من هوامش السلفيين وشغبهم"[٢٩].

وفي موضع آخر رأي علوش أن مشروع الغذامي مجرد تجريب لمنهج غربي قديم يقول : " كنا نعتقد أن أمر مؤلفه لا يعدو أن يكون تجريبا لمنهج غربي قديم ظهر عام ١٩٦٠في برمنجهام واستعاد روحه الثانية في الجزيرة العربية في الرياض سنة ٢٠٠٠ كترضية لنوستالجية عربية تحيي العظام وهي رميم ،كما يحدث للعديد من التقليعات التي تموت في بلدانها الأصلية وتبعث في الهوامش "[٣٠].

وبحسب د.علوش " لقد تحول النص من منظور النقد الثقافي إلي وثيقة تعكس القيم الأيديولوجية والسياسية السائدة من ناحية، تتخذ نقطة انطلاق لإعادة تصور تلك القيم وإعادة بنائها في ظل صراع طبقي ثقافي لا يتوقف من ناحية ثانية، وفي اليوم الذي حمل فيه النص كل هذه السلطات ضربت سلطته كنص إبداعي[٣١].

وطبقا للدكتور سمير الخليل تبدر ريادة مشروع الغذامي في قوله : "ولاشك أن مشروعه من الجدة والسبق ما يجعله جديرا بالاهتمام والتلقي الهادئ وتسجل له الريادة والجرأة في هذا المشروع بحكم بيئة الرجل وهي بيئة اقل ما يقال فيها بأنها منغلقة ونخبوية واحتكامها إلي الماضي وتعلقها بمفاهيم أورثتها لها مرجعياتها النخبوية شأنها شأن عديد من البيئات العربية.[٣٢].

وقد رأي أن نظرية الغذامي قائمة علي " تحوير المبادئ المتوافرة في البلاغة والنقد العربيين وإلباسهما روح المعطي الثقافي[٣٣] فالمصطلحات اكتسبت حلة غذامية أفاض عليها الغذامي من رأيه واجتهاده ، وقد تبني الخليل رؤية الغذامي رغم عنوان منجزه الشامل " فضاءات النقد الثقافي"وبكل ما تحمله الكلمة من شمولية واتساع وتناول المنجزات الفكرية والمعرفية والخطابات الحاملة لأنساق تاريخية أو تداولية اجتماعية بل حتي الخطابات المهملة كالإعلانات والمسجات المرتبطة بالهاتف النقال والنكات[٣٤] ، وبين تبني رؤية إن النقد الثقافي يبحث عن نسق مضمر ، مقترحا تسمية جديدة كبديل للجملة الثقافية هي " التهريب النسقي " والذي قد يكون من خلال مفردة أو جملة أو مستخلص من مجموع الخطاب المقروء أو المسموع أو البصري[٣٥]وعليه تكون رؤية الخليل منطلقة من فكرة الغذامي في النقد الثقافي

غير أن د. بشري موسي صالح قد رأت أن النقد الثقافي " شكل من أشكال العولمة الثقافية بإنكار مفهوم الهويات الصغيرة والكبيرة ، وتوحيد بني الثقافة العالمية عن طريق المتن الثقافي المفتوح علي غرار السوق الاقتصادية المفتوحة بعد التبصر بمزالق هذه الرؤية الخطيرة[٣٦] " ، وبالنسبة إليها بدت تجربة الغذامي النقدية ومتابعته الواعية للتحولات النقدية العالمية عبر سحب الفورات المنهجية والموجات الحداثية الي

منطقة النص العربي الإبداعي أو النقدي ، أشبه ما يمكن وصفها "بالرؤية الانقلابية النقدية "التي تعبر عن خروجات الناقد الصارخة في كتبه جميعا على المحطات المنهجية التي يباشر عمله النقدي من خلالها جاعلا إياها الخيار الأوحد بروح تبشيرية عالية [٣٧]، فقد كان مبهورا بالتحولات النقدية والمنهجية العالية في تقلباتها البنائية والتفكيكية والأخرى التأويلية في منهجيات ما بعد الحداثة، وآخرها النسوية والنقد الثقافي ، وقد بدت الأنساق المضمرة التي توصل إليها الغذامي ،هي المتحكمة في العقل العربي، وبذلك يكون الغذامي قد مارس نقد العقل العربي،وهو ضرب من النقد خاضت فيه الكثير من مؤلفات المفكرين العرب: أمثال كل من محمد عابد الجابري، ومحمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، وعلي حرب، وغيرهم، بيد أن الفارق في كتاب الغذامي ، تمثل في أن صاحبه يعتنق رؤية ثقافية ما بعد حداثية ضمن مشروعه النقدي التبشيري الانقلابي [٣٨]

أما النقد الثقافي ففيه – من وجهة نظرها – يتنامي التأويل في بعدين ظاهر وخفي ، بفكك الأول أنظمة النصوص الثقافية الظاهرة ، ويكشف عن عللها ، والمتحكمات النسقية فيها، وهو إجراء يقوم علي التقويض والإزاحة وإقصاء المركزيات علي نحو غير مرتهن بمركزية النص الجمالية، أو استقلاليته البنائية،أما الآخر فيقوم علي رؤية ما بعد حداثية مضافة تعتمد علي ما يمكن تسميته بنقد (أو تفكيك الامتصاص) ويتمركز حول فاعلية الكشف عن السياقات التاريخية التي امتصها النص وأسهمت في إنتاجه [٣٩].

ويأتي إسهام عبد الرزاق المصباحي ، بمثابة قراءة في المنجز النقدي لعبد الله الغذامي ويعرف النقد الثقافي :" إن النقد الثقافي نشاطية نقدية غايتها تفكيك الأنساق الثقافية المضمرة ، وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي ، في سعيها إلى إعادة إنتاج قيم التمركز والنسخ والاحتواء القسري والمتسربة بوساطة أنظمة ثقافية متحكم في غاياتها ومراميها [٤٠]. وقد بدت غاية النقد الثقافي –من وجهة نظر المصباحي – هي البحث عن الأنساق المضمرة، وهو تعريف خرج من تحت عباءة تعريف الغذامي،استهدف تعريف النقد الثقافي من خلال وظيفته ،والنسق أيضا من خلال وظيفته، والملاحظ أن الكتاب لم يحو تعريفا شاملا جامعا مانعا للكل من النسق والنقد الثقافي.

لقد ظل المصباحي مسكونا بهاجس امتلاك النص أثناء قراءته وأن يكون النص تابعا لقارئه و لمقاصده وغاياته وقناعاته ،ومن ثم كان هدفه جعل الأداة النقدية موائمة لقصيدتها ، وذلك من خلال اقتراح مفهومي " البليغ الثقافي والرؤيا الثقافية " اختلف فيهما مع الغذامي الذي استبعد الجمالي الذي يتواطأ مع الأنساق المضمرة .

أما الرؤيا الثقافية فهي :" بنية دلالية / جمالية تستضمر حالات وجودية تسائل العوالم الكائنة وتستشرف أخري ممكنة بكثير من الحكمة التي تقدم بأسلوبية متجددة وتستحضر بوعي نافذ آفاق التلقي القرائن بنوعية الجماهيري والنقدي ، وتسعي إلي التسامي علي شرط الأنساق الثقافية مع الوعي بجبريتها ومسعاها إلي التنميط والهيمنة [٤١]، و أما البليغ الثقافي : هو اصطلاح إجرائي لا يلغي وعي الشاعر ولا يعفيه من مسؤولية ما يستضمره نصه من أبعاد ثقافية ، لكنه في الوقت نفسه لا يحاكمه وفقا للنتائج المستخلصة من النص [٤٢].

لقد اقترح المصباحي المصطلحين بعد قراءة ديوان "كزهر اللوز أو أبعد) للشاعر محمود درويش ، بوصفهما أداتين إجرائيتين أوحي بها النص المقارب فللنصوص أيضا رؤاها الثقافية الخاصة التي تفصح لناقدها عن أدوات الاشتغال التي تناسبها [٤٣]. ولكن هل يمكن استخدام الرؤيا الثقافية والبليغ الثقافي في دراسة ديوان آخر لا يمتلك مؤلفه رؤيا ثقافية يطرحها متساميا علي الأنساق الثقافية ملثما تسامي محمود درويش علي الأنساق الثقافية في ديوانه ؟ ،إن ما فعله المصباحي أشبه بعملية استنباط لأدوات نقدية من نص، و هنا يمكن أن نسأل ، هل النص هو الذي يقترح أدوات قراءته؟ .وهل الناقد من خلال قراءة النص يقترح أدوات يقرأ بها بقية النصوص ؟ ، وطبقا للدكتور سيد ضيف الله الذي رأي أن الناقد الثقافي ليس ملزما بالبحث عن أنساق ثقافية مضمرة ذلك أن النسق تحكمه علاقة (المخاطب/ المخاطب) أو علي مستوي تباين المواقع الثقافية ، علي نحو تطلب أن يصوغ المخاطِب المخاطبَ[٤٤]، وبذا هو يبحث في خطاب معلن وظاهر .

ويأتي النسق من أكثر الأمور المثيرة للاختلاف في مشروع الغذامي والذي طبع الشخصية العربية بطابعه ، مما جعل الدكتور عبد الله إبراهيم يطرح عددا من الأسئلة

متعلقة بنظرية الأدب أكثر مما هي متصلة بأي شئ آخر،فهل يصاغ العالم الواقعي،بما فيه العلاقات الاجتماعية والمزايا النفسية والتطلعات والرغبات في ضوء المنظومة الخطابية السائدة أم تلك المنظومة الخطابية السائدة ؟،أم أن تلك المنظومة الخطابية هي التي تقوم بعملية تمثيل رمزي لذلك العالم ؟ فالقول بأن العالم النصي يصوغ العالم الواقعي قول يحتاج إلي بحث تفصيلي تجنب الغذامي الخوض فيه [٤٥]

ولم تكن جميع المناقشات نقدية بل تمت دراسة المشروع دراسة عقديه وقد قامت الدراسة علي رصد سقطات الغذامي وما كان يجب مراعاته ، وطبقا لناضرين الذي رأي أن الغذامي أغفل فاعلية الإسلام في مقابل فاعلية الشعر ،وانه أهمل دور الحضارة الإسلامية في التأثير الثقافي مضخما من تأثير الشعر العربي في الذهنية العربية ، و لم يكن الغذامي مقلصا لفاعلية الإسلام في التأثير الثقافي فحسب ، بل إن لب القضية هو أن الدكتور الغذّامي جعل من الشعر خصمه الصامت الناطق، بل هو خصم الأمة، وهو خصم الحداثة وداءها! وهو ما يتحمل الجريرة والتبعة، تاريخياً وحداثياً، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، إزاء كل رزية[٤٦] ، وقد استهدف الغذامي القيم الثقافية وقد نسبها زوراً إلى الشعر[٤٧]. ولم يستدل الغذامي ولو بآية من القرآن يقول : فهل خفي كل هذا على الدكتور الغذّامي ؟! وهل تيسر له الرجوع إلى سبعين مرجعا عربياً، واثنين وأربعين مرجعاً إنجليزياً، وعجز عن الرجوع إلى كتاب ربه؟! لو بمجرد إيراد آية منه بنصها، أو عزوها إلى سورتها [٤٨].

وقد نادي سعيد بن ناصر الغامدي بضرورة وضع حدود للنقد الثقافي قائلا: (إن النقد الثقافي بأدواته المذكورة وقراءته الترصدية وبحثه عن العيوب والخلل النسقي، سيشمل حالاً أو مآلاً دراسة النسق الاعتقادي عند المسلمين؛ باعتباره النسق الأشمل والأظهر والأرسخ والأعمق! وبالنظر إلى النفسية الترصدية والنظرة التشاؤمية الغالبة على هذا التيار، وبالنظر إلى الخلفية الفكرية المؤطرة بالعلمانية فإنه سيجد بحسب تصوراته أنساقاً اعتقاديه كامنة لها تأثيرات سلبية ومخرجات قبحية بحسب أصولهم

ونظريتهم ومن ذلك على سبيل المثال: القضاء والقدر، والولاء والبراء، والغيبيات، كالجن والملائكة وخوارق العادات)[٤٩].

يختلف الباحث مع فضيلة الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي حول النصوص والموضوعات المدروسة التي يتناولها النقد الثقافي ، فليس دور النقد الثقافي البحث في الأصول والمقدسات والثوابت مثل كتاب الله وسنة النبي صلي الله عليه وسلم ، فالناقد الثقافي يهتم بدراسة النصوص التي أدت إلي الفهم القائم للإسلام والنصوص وأنساق التحيز والتهميش ، وتأويل النصوص الدينية استجابة لنسق ثقافي .

الخاتمة

اتضحت صورة الاستقبال النقدي العربي للنقد الثقافي ، الذي اعتمد عليه الغذامي في كتاباته النقدية عامة ، وكتاب النقد الثقافي خاصة ، حيث تبني فيه مشروع فنسنت ليتش الذي طرحه في سياق تركيز الاهتمام بالخطاب في ذاته وتحليله من حيث هو خطاب ، متخذا مصطلح النقد الثقافي علما عليه ، وعمد في منهج تحليله إلي استخدام المعطيات النظرية والمعجمية في والسوسيولوجيا والتاريخ والسياسية والمؤسساتية من دون أن يتخلي عن مناهج التحليل الأدبي النقدي[٥٠]

ورغم اقتراح مصطلحات جديدة أوحت بها النصوص المقروءة، مثل البليغ الثقافي والرؤيا الثقافية ، والتهريب النسقي، ووصف جهود الغذامي بأنها تناولت التيارات الفكرية والثقافية بمعناها العام ، ويندرج عمله تحت لب نقد الثقافة لا النقد الثقافي، ، ظل سؤال المنهج أكثر حدة وإلحاحا ، وحول كيفية تطبيق منهج نقد ثقافي أو نقد أدبي ثقافي قابل للتطبيق في إطار منهجي، و انطلاقا من هذه الإشكالية فالنقد الثقافي لا يعتمد على منهج واضح المعالم ولا يتميز بخطوات منهجية واضحة وصارمة ، وعلة ذلك أن مؤسسي الدراسات الثقافية ، وبالأحرى النصوص المؤسسة للدراسات الثقافية لم تكن تستهدف منهجا ما ينافس المناهج القائمة وقتئذ في عملها ؛لأنها منذ البداية اختارت بوعي كامل ألا تلتزم بأهم شروط المنهجية ، ألا وهما الموضوعية والحياد [٥١]

ويعتمد النقاد الثقافيون علي جملة من الأدوات الإجرائية التي تنتمي إلى معارف وعلوم مجاورة كالأنثربولوجيا، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع، وعلم العلامات ، وخطاب الجنوسة ، والنقد النسوي ،الدراسات ما بعد الاستعمارية ، والدراسات الثقافية وغيرها من مجالات العلوم الإنسانية ، ومن هذه المقولات ، الخطاب، الآخر، التمثيل، والإقصاء ، الجندر، الجنوسة ، الهيمنة ، وغيرها .

الهوامش والإحالات :

١ – صبري حافظ ، النقد الثقافي : رايموند ويليامز نموذجا ،مجلة ألف ،عدد ٣٢، ٢٠١٢م ،الجامعة الأمريكية بالقاهرة ص ١٠ .

٢– الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، وتقديم :د.عبد الرحمن بن إسماعيل السماعيل، مؤسسة اليمامة الصحفية ٩٧–٩٨، ، ص١٣٧.

٣ – الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي ، ص٥

٤ – نقد ثقافي أم نقد أدبي – بتصرف – ص١٥–١٩

٥ – المرجع السابق: ص٦٨.

٦ – المرجع السابق : ص٦٩.

٧ – النقد الأدبي الأمريكي : ص٣٨٣

٨ – الثقافة والنقد الثقافي :عز الدين إسماعيل ، مطابع المنار العربي ، إمبابة ، الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ٢٠٠٦ ، ص ٩٤

٩ – المرجع السابق : ص. ٢١.

١٠ –النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية : ص١٥.

١١ – د .عبد الله محمد الغذامي : النقد الثقافي : ص٥٧.

١٢– المرجع السابق ، ص٦٠.

١٣– المرجع السابق : ص٦٢.

١٤– المرجع السابق : ص٦٣.

١٥– المرجع السابق: ص٦٥.

١٦– المرجع السابق: ص٧٣.

١٧- نقد ثقافي أم نقد أدبي: ص٢٧-٢٨.

١٨ - المرجع السابق : ص٢٩.

١٩ - النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية : ص٧١.

٢٠ - المرجع السابق : ص ٧٥.

٢١- نقد ثقافي أم نقد أدبي: ص ٣٤.

٣٣- المرجع السابق: ص ٣٠.

٢٣ - النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية :ص٧٧

٢٤ - المرجع السابق : ص ٨٤ .

٢٥ - المرجع السابق : ص ٨٥

٢٦ عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية : ص١٢

٢٧ - د. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي:الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، الأردن، ٢٠٠.

٢٨ د.سعيد علوش، نقد ثقافي أم حداثة سلفية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة٢٠١٠، ص٧.

٢٩- المرجع السابق : ص٦٧.

٣٠- المرجع السابق : ص ٧٤.

٣١- المرجع السابق : ص٥٥.

٣٢ -فضاءات النقد الثقافي من النص إلي الخطاب:د.سمير الخليل ، دار البصائر ، بغداد ، العراق ، الطبعة الأولي ، ٢٠١٥ ، ص.٥٤

٣٣ - المرجع السابق ص.٥٧

٣٤ – السابق ١٣ .

٣٥ – السابق ١٥.

٣٦ – د. بشري موسي صالح : بويطيقا الثقافة ، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي ، دار
الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الطبعة الأولي ٢٠١٢،ص٥.

٣٧ – المرجع السابق : ص٥٥ .

٣٨ – المرجع السابق: ص٥٨

٣٩ – المرجع السابق: ص٩.

٤٠ – النقد الثقافي من النسق الثقافي إلي الرؤيا الثقافية :عبد الرازق المصباحي ،مؤسسة الرحاب الحديثة ،بيروت لبنان، الطبعة الأولي ٢٠١٥ : ص٧

٤١ – المرجع السابق :ص١٢

٤٢– المرجع السابق: ص١٠٩

[٤٣] – المرجع السابق: ص١٥٢

[٤٤] – صورة الشعب بين الشاعر والرئيس:سيد إسماعيل ضيف الله ،الكتب خان للنشر والتوزيع ، المعادي، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ٢٠١٥ ، ص٣١.

[٤٥] – النقد الثقافي ، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق : ص٣٢٩.

[٤٦] – دراسة عقدية لكتاب النقد الثقافي للدكتور عبد الله الغذامي: بدر بن محمد ناضرين ، السعودية،جامعة أم القري بحث منشور علي رابط "
http://www.alkutubcafe.com/book/tN9ZpS.html". ١٤٢٨هـ–
١٤٢٩هـ.ص١٦

[٤٧] – المرجع السابق : ص١٩.

[٤٨] –المرجع السابق : ص٣٠.

[٤٩] – المرجع السابق : ص٣٧.

[٥٠] – النقد الثقافي والدراسات الثقافية : ص١٠١

[٥١] – صورة الشعب بين الشاعر والرئيس :ص٨١